

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المساواة في الإسلام

#### مبدأ الإسلام في المساواة

ولم يكتف الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً بل أكده عملياً بجملة أحكام وتعاليم، نقلته من فكرة مجردة إلى واقع ملموس؛ من ذلك العبادات الشعائرية التي فرضها الإسلام، وجعلها الأركان العملية التي يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج.

#### أ- المساواة في توحيد الصفوف

وفي مساجد الإسلام حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة تأخذ المساواة صورتها العملية، وتزول كل الفوارق التي تميّز بين الناس، فَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَوْلاً أَخَذَ مَكَانَهُ فِي مَقْدَمَةِ الصَّفُوفِ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ النَّاسِ مَالاً، وَأَضْعَفَهُمْ جَاهاً، وَمَنْ تَأَخَّرَ حُضُورُهُ تَأَخَّرَ مَكَانُهُ، مَهْمَا يَكُنْ مَرْكَزُهُ، فَكُلُّ النَّاسِ سَوَاسِيَةٌ أَمَامَ اللَّهِ؛ فِي قِيَامِهِمْ، وَقُعُودِهِمْ، وَرُكُوعِهِمْ، وَسُجُودِهِمْ، رُبُّهُمْ وَاحِدٌ، وَكُتَابُهُمْ وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَحَرَكَاتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَإِمَامُهُمْ وَاحِدٌ

#### ب - المساواة في مناسك الحج

وفي مناسك الحج تتحقق المساواة بشكل أشد ظهوراً ، وتتجسد تجسداً تراه العين فشعيرة الإحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجرّدوا من ملابسهم العادية، ويلبسوا ثياباً بيضاء بسيطة، غير مخيطة، ولا محيطية، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، يستوي فيها القادر والعاجز، والغني والفقير، والملك والمملوك، ثم ينطلق الجميع ملبيين بهتاف واحد: لبيك اللهم لبيك، ومن المساواة العملية التي قررها الإسلام قولاً وطبقها فعلاً المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع

#### شريعة الإسلام تتسم بالشمول والاطراد

الحرام في شريعة الإسلام يتسم بالشمول والاطراد، فليس هناك شيء حرام على الأعجمي، حلال على العربي، وليس هناك شيء محظور على الملون، مباح للأبيض، وليس هناك جواز أو ترخيص، ممنوح لفئة من الناس، تقتصر باسمه ما طوع لها الهوى، بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام على غيره حلالاً له، كلا إن الله رب الجميع، والشرع سيد الجميع، فما أحل الله بشريعته فهو حلال للناس كافة، وما حرّم فهو حرام على الجميع كافة إلى يوم القيامة .

#### والمحرمات تشمل كل الأطياف

السرقه مثلاً حرام، سواء أكان السارق ينتمي إلى المسلمين، أم لا ينتمي، وسواء أكان المسروق ينتمي إلى المسلمين، أم لا ينتمي، والجزاء لازم للسارق، أيّاً كان نسبه أو مركزه.

## منهج سيدنا عمر

وكان عمر رضي الله عنه، إذا أراد إنفاذ أمر، جمع أهله وخاصته، وقال لهم:

"إني أمرت الناس بكذا ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير، إن رأوكم وقعتم وقعوا، وإيم الله لا أوتين بواحد وقع في

ما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفتُ له العقوبة لمكانه مني"

فصارت القرابة من عمر مصيبة.

## أ. موقف سيدنا عمر من جبلة بن الأيهم

وفي خلافته رضي الله عنه وأرضاه ، جاءه إلى المدينة جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة يعلن إسلامه، فرحّب به عمر أشدّ الترحيب، وفي أثناء طواف هذا الملك حول الكعبة داس بدوي طرف إزار الملك الغساني، فيغضب الملك ويلتفت إلى هذا البدوي فيضربه ويهشم أنفه، فما كان من هذا البدوي من فزاره إلا أن توجه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب شاكياً، فيستدعي عمر رضي الله عنه الملك الغساني إلى مجلسه ويجري بينهما حوار صيغ على الشكل التالي:

قال عمر:

جاءني هذا الصباح، مشهد يبعث في النفس المرارة، بدويٌّ من فزارة، بدماء تتظلم بجراح تتكلم، مقلة غارت وأنف قد تهشم، وسألناه فألقى فادح الوزر عليك بيديك، أصحيح ما ادّعى هذا الفزاري الجريح؟

قال جبلة:

لست ممن ينكر، أو يكتم شيئاً، أنا أدبتُ الفتى، أدركتُ حقي بيدي،

قال عمر:

أيُّ حقٍّ يا ابن أيهم؟ عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم؟ عند غيري جبهة بالإثم والباطل تُلطم، نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية، قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً، أرض الفتى، لا بد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك،

قال جبلة:

كيف ذاك يا أمير المؤمنين؟! هو سوقة وأنا صاحب تاج! كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً؟! كان وهماً ما مشى في خلدي، أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني

قال عمر:

عالم نبيه، كل صدع فيه يشبا السيف عندك أقوى وأعز، وأعز الناس بالعبد بالصلعوك تساوى " .

## ب - غضب جبلة من سيدنا عمر، وارتد عن الإسلام

أما جبلة فلم يستوعب هذا المعنى الكبير في الإسلام، وفرَّ من المدينة هارباً مرتداً ولم يبالِ عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة، لأن ارتداد رجل عن الإسلام أهونُ بكثير من التهاون في تطبيق مبدأ عظيم من مبادئه، وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ .

منقول عن:

موضوعات إسلامية - مقالات في صحيفة دنماركية - الدرس (٦-١٢) : إنسانية الإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-١٠-٢٤ | [المصدر](#)